رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما
رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) وقال تعالى
(ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد. كذبت قبلهم
قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب) الى قوله (الذين يجادلون في آيات الله
بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار) والسلطان هو الوحي المنزل من عند الله كما ذكر ذلك في غير موضع
كقوله (أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) وقوله (ما نزل الله
بها من سلطان) وقال ابن عباس: كل سلطان في القرآن فهو الحجة ذكره البخاري
في صحيحه وقد ذكرنا في هذه السورة «حم غافر» من حال مخالفي الرسل من الملوك
والعلماء مثل مقول الفلاسفة وعلمائهم ومجادلتهم واستكبارهم ما فيه عبرة
مثل قوله (الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر
ما هم ببالغيه) ومثل قوله (ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون
الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم
والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون. ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون
من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين
ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) وختم السورة بقوله
تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) وكذلك في سورة
الأنعام والاعراف وعامة السور المكية وطائفة من السور المدنية فانها تشتمل
على خطاب هؤلاء وضرب الأمثال والمقاييس لهم وذكر قصصهم وقصص الأنبياء
وأتباعهم معهم وقال سبحانه (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا
وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء

إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) فاخبر بما مكنوا فيه من
أصناف الادراكات والحركات وأخبر ان ذلك لم يغن عنهم حين جحدوا بآيات الله وبي
الرسالة التي بعث بها رسله ولهذا احتج ابن الشيخ الحصيري عن والده الشيخ الحصيري
شيخ الحنفية في زمنه قال كان فقهاء بخارى يقولون في ابن سينا كان كافرا ذكيا
قال الله تعالى (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم
أشد منهم قوة وآثارا في الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق)
والقوة نعم قوة الادراك المنظرية وقوة المحركة العلمية وقال في الآية الأخرى (كانوا
أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض) فاخبر بفضلهم في الكم والكيف وأنهم أشد
في أنفسهم وفي آثارهم في الارض وقال تعالى (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما
جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)
وقال تعالى (وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون. أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء
ربهم لكافرون. أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم
بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. ثم كان عاقبة الذين
أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون. الله يبدأ الخلق ثم يعيده
ثم اليه ترجعون) وقال تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا
به يستهزئون. ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن
لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم
بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) وقد قال سبحانه عن أتباع هؤلاء الأئمة
من أهل الملك والعلم المخالفين للرسل (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون

Copyright © King Saud University